الفصل الثاني

أسباب انحسار دور الوقف وكيفية إحيائه

ويأتى في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسباب انحسار دور الوقف في الوقت الحاضر.

المبحث الثانى: العمل على إحياء دور الوقف.

المبحث الثالث: مجالات جديدة للوقف.

المبحث الأول

أسباب انحسار دور الوقف في الوقت الحاضر

لقد أدت الأموال الموقوفة في المجتمعات الإسلامية، دوراً مهماً في تنمية هذه المجتمعات - كما سبق أن أوضحنا - في النواحى الثقافية، والاجتماعية والاقتصادية، في العصور التى كان دور الدولة وإسهامها فيها محدوداً، ثم بدأ هذا الدور يتلاشى وينحسر، حيث اعترى الوقف - في الآونة الأخيرة - الوهن والضعف، وكادت مسيرته تتوقف، ويرجع ذلك لأسباب وعوامل مختلفة نكتفى ببيان شيء منها فيما يأتى:

أولاً:

ضعف الوازع الدينى عند كثير من الأثرياء، الذى يدفعهم إلى التبرع ببعض أموالهم عن طريق الوقف، ويعلى لديهم قيم البذل والعطاء، ومد يد العون للمحتاجين، ومن قعدت بهم السبل، أو أعيتهم الحيل في أن يوفروا لأنفسهم أو ذويهم متطلبات الحياة وضرورياتها، فضلاً عن تراجع الولاء لمبدأ المصلحة العامة والشأن العام، والانسحاب من الاهتمام بالدائرة العامة إلى التشرنق حول النفس، والانتصار للذاتية المفرطة.

ومنشأ ذلك أن الرعيل الأول من السلف الصالح كانوا بفطرتهم الإيمانية مدفوعين إلى الخير والبذل والعطاء، عن طريق وقف أنفس ما لديهم من الأموال، احتساباً لله تعالى، وإيثاراً لحق الأخوة الإسلامية. وبالقطع فإن هذا الإيثار والعطاء الذى بلغ منتهاه، لم ينقطع فجأة، ولم ينحسر دوره مرة واحدة، وإنما طرأ ما طرأ على المجتمع الإسلامى من ابتعاد تدريجى عن

مبادىء الإيمان، وشرائع الإسلام، وروح التكافل الاجتماعى، وروابط الأخوة الإسلامية، حتى بلغ الحال إلى ما آل إليه الأمر في الوقت الحاضر من تفشى آفات الشح والحرص، وسد الآذان عن معاناة المكروبين، وعن النهوض بالحق العام للمسلمين[١].

ثانياً:

الانحراف بالوقف عن مقاصده الشرعية، وأهدافه الدينية، من التعاون على البر والتقوى، والقيام بالمصالح العامة، ورعاية الفئات المحرومة من الفقراء والمساكين، وصلة الأرحام، والتصدق على ذوى القربى.

هذا الفهم الصحيح وعاه الصدر الأول، الذين كان دافعهم الخير وابتغاء المصلحة العامة، ولكن حدث بعد ذلك أن انحرف بعض الواقفين بأوقافهم عن غايتها الشرعية ومرماها الدينى، من الإعطاء والحرمان، وإدخال من يشاءون وإخراج من لا يرغبون، والتحكم فيه بالزيادة والنقصان، إلى غير ذلك من المثالب التى جعلت الوقف وسيلة للتحايل، وباباً للتلاعب في الفرائض الشرعية المقررة للمستحقين[٢].

ثالثاً:

سوء استغلال الوقف الأهلي، والتصرف فيه بالمخالفة لشرع الله، وذلك من قبل بعض الواقفين الذين قصدوا بوقفهم مضارة بعض الورثة، والتحكم في إرادتهم، وإخضاعهم لأهوائهم، وهذا من الأسباب التى تقوض نظام الوقف الأهلى، وتصرفه عن مقاصده السامية.

---

(١) حول رؤية مستقبلية لنظام الوقف الإسلامى، ص٢٥٤ - ٢٦٣ (بتصرف).
(٢) المرجع السابق، ص٢٥٥ - ٢٥٦، (بتصرف).

ولا شك أن هذه الممارسات الخاطئة من قبل العديد من الواقفين قد شوهت نظام الوقف وأضرته أيما إضرار، حيث اتخذ الوقف الأهلى ذريعة إلى التسلط، والغبن والإضرار، إلى الحد الذى جعل بعض الدول تتدخل في نظام الوقف بسن القوانين الوضعية التى تحد من إرادة الواقف، ومن حقه في الاشتراط في وقفه، بل إن بعض الدول - مثل مصر - قد ألغت الوقف الأهلي بالقانون رقم ١٨٠ لسنة ١٩٥٢م[١].

رابعاً:

سوء الإدارة وعدم الأمانة من جانب الكثير من النظار، والتى أدت إلى إهمال الأعيان الموقوفة، وعدم الحفاظ عليها، لفقدان الدافع الذاتى في رعاية هذه الأعيان، إذ غاية ما يعنيهم منها هو الحصول على النفع العاجل، دون أكتراث بمصيرها، وهو ما أدى إلى تخريبها، بالإضافة إلى ذلك فقد كان للنزاعات الطاحنة، والتناحر المستمر بين النظار، تأثير بالغ السوء على الأوقاف، وإشاعة العداوات بين أفراد الأسرة، وتفكيك أواصرها.

وكان لافتقاد مقومات المتولي الكفء لإدارة الوقف، من حيث توفر الكفاءة والخبرة، بجانب الأمانة، هو العامل الأساسى في تدنى فاعلية الوقف، وإنحسار دوره في التنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية[٢].

خامساً:

أغلب الدول الإسلامية المعاصرة تقوم أنظمة الحكم فيها على الدساتير والقوانين الوضعية، والتى تأثرت بالأسلوب الغربي في التدخل السيادى

---

(١) المرجع السابق - ص٢٦١ - ٢٦٣، (بتصرف).
(٢) المرجع السابق، ص٢٦٣ (بتصرف).

للدولة، وتوجيهها للأنشطة الاجتماعية والاقتصادية، وإخضاع العديد من القطاعات الخاصة، والأنشطة الفردية، إلى إشراف الدولة، وجعلها مصالح عامة، إرتكاناً على المفهوم الحديث لدور الدولة في التدخل التشريعي، وصياغة السياسات المنظمة لمناحى الحياة المختلفة.

وتقوم هذه الدول بتحصيل الضرائب والرسوم المختلفة، للإنفاق منها على التعليم والصحة والخدمات الاجتماعية، الأمر الذى جعل دور الوقف محدوداً، وضعف أثره العظيم الذى كان معروفاً به عبر العصور السالفة.

سادساً:

عدم اهتمام وسائل الإعلام المقروءة، والمسموعة، والمرئية، بموضوع الوقف، حيث يتعين عليها إبراز دور الوقف وأهميته في المجتمع، وحث الأثرياء والقادرين على أن ينهجوا نهج السابقين الخيرين، فيقفوا بعضاً من أموالهم على أوجه الخير المختلفة، لتكون لهم ذخراً في آخرتهم، وعوناً لإخوانهم المسلمين من الفقراء والمحتاجين.

كل هذه العوامل، وغيرها، أدت إلى إنصراف الموسرين والمحسنين عن الوقف، وزهدهم فيه، مما أدى إلى تقلص الوقف وانحسار دوره الذى قام به على مر العصور.